# مفهوم الدولة عند اخوان الصفا من خلال رسائلهم (دراسة فكرية)

**م. د. حسن رشيد إبراهيم**

**المديرية العامة لإعداد المعلمين والتدريب والتطوير التربوي**

hsnnaht٣٤@gmail.com

**الملخص:**

يتناول هذا البحث الموسوم بـ(مفهوم الدولة عند إخوان الصفا من خلال رسائلهم/ دراسة فكرية) رؤية إخوان الصفا لمفهوم الدولة في إطار مشروعهم الفكري والفلسفي الذي جمع بين الدين والعقل، وبين الفلسفة والأخلاق. يهدف البحث إلى الكشف عن الأسس الفكرية التي اعتمدها إخوان الصفا في تصورهم للدولة، وطبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ودور الدولة في تحقيق العدل والاصلاح الاجتماعي. وقد اعتمدت الدراسة على تحليل رسائلهم تحليلاً فكرياً نقدياً، للكشف عن المضامين السياسية والفلسفية التي تضمنتها.

**الكلمات المفتاحية:**

الفكر السياسي، الدولة، الفلسفة الإسلامية، المدينة الفاضلة، النظام الاجتماعي.

**Abstract:**

This research, titled "The Concept of the State According to the Ikhwan al-Safa in Their Epistles: An Intellectual Study," explores the Ikhwan al-Safa's vision of the state within their comprehensive philosophical and intellectual project, which sought to harmonize religion and reason, philosophy and ethics. The study aims to uncover the intellectual foundations underlying their conception of the state, the relationship between ruler and ruled, and the role of the state in establishing justice and social reform. It relies Analyze their epistles through an Intellectual and critical analysis reveal the embedded political and philosophical dimensions.

**Keywords:**

Political thought, the state, Islamic philosophy, the ideal city, the social system

**المقدمة**

من البديهي أن الفكر السياسي ليس وليد اليوم، بل هو نتاج جهد إنساني تراكمي بدأ منذ اللحظة التي لجأ فيها إلى الحياة الاجتماعية بعد ما شعر بأهمية التعاون مع الآخرين، فأخذ يفكر بطريقة منظمة تحدد سلوكه تجاه الآخرين، وتفرض القيود على تصرفات الناس، ومنع الاعتداء المتبادل، وهذه الأمور لا تحصل الا إذا تولى شخص قيادي أو مجموعة أشخاص هذه المسؤولية.

وهنا أخذ الإنسان يفكر بالرئيس والصفات الواجب توافرها فيه، والدولة، والقانون، وقضية الالتزام به، وما يترتب من عقوبات جراء الخروج عنه. فهذه القضايا شغلت الذهن الإنساني عند الشعوب والحضارات المختلفة، ففي العراق – قديما – حضي هذا الأمر باهتمام واسع عند البابليين، والسومريين، والأكديين. كما اهتم بها الصينيون، والفرس، والهنود، والإغريق، والرومان.

ومن الجدير بالذكر ان الفكر السياسي لم يكن وقفا على الساسة وأصحاب القرار، بل نال مكانة عظيمة عند الفلاسفة في العصور المختلفة، فعند اليونان مثلا: نجده عند السفسطائيين، وسقراط، وأفلاطون، وأرسطو طاليس، وفي الفلسفة الإسلامية يتجلى الفكر السياسي في جهود الفارابي، وإخوان الصفا، وابن باجة، وابن خلدون، حيث نثروا عليه صبغة إسلامية وأدخلوا مصطلحات جديدة لقاموس الفكر السياسي، كاجتماع الملك والنبوة لبعض الأنبياء، والخلافة والإمامة ... الخ.

وفي الفلسفة المسيحية برز الفكر السياسي في جهود القديس أوغسطين، والقديس توما الاكويني اذ أصبحت السياسة مفهوما دًينيا. ولا ننس جهود فلاسفة الغرب كميكافيللي، وتوماس هوبز، وباروخ سبينوزا، وجون لوك. وهيجل، وكارل ماركس وبرتراند راسل وغيرهم من الفلاسفة.

ونظرًا لأهمية الفكر السياسي؛ اثرنا تقديم دراسة في هذا الموضوع متخذين من إخوان الصفا انموذجا، أصحاب تلك الجمعية السرية والنحلة الدينية التي نشأت في البصرة، وانتشرت في بغداد و قدمت رسائل شملت جوانب المعرفة المختلفة. أما اختيارنا لهم فكان بسبب: أن من يقرأ رسائلهم يجدها مليئة بالأفكار السياسية، لكنها مبعثرة على مدار رسائلهم الإحدى والخمسين.

وهذه الآراء لا تفهم على وجه الدقة عند مطالعتها للوهلة الأولى؛ لأنهم يؤكدون مسألة في رسالة معينة لكنهم يرفضونها في أخرى، فأردنا تقديم رؤيا واضحة لفكرهم السياسي معللين هذه الالتباسات وموضحين دوافع تعمدهم لهذا الغموض والتضارب بالآراء، وهي مهمة ليست سهلة.

**إشكالية البحث:**

كيف تصور اخوان الصفا مفهوم الدولة في إطارهم الفكري والفلسفي، وما الأسس المعرفية والأخلاقية التي بنوا عليها هذا التصور.

**أهمية الموضوع:**

تتضح أهمية هذا الموضوع من إبراز تصور إخوان الصفا لمفهوم الدولة، والكشف عن أسسه الفكرية والأخلاقية في بناء النظام السياسي، كما يسهم البحث في بيان مدى تأثير هذا التصور في الفكر الإسلامي وإمكان توظيفه في معالجة قضايا الدولة في الوقت المعاصر.

**أهداف البحث:**

- بيان مفهوم الدولة عند اخوان الصفا وتحليل أبعاده الفكرية.
- الكشف عن الأسس الفلسفية التي يقوم عليها تصورهم للدولة.
- توضيح العلاقة بين الفرد والمجتمع في إطار الدولة عندهم.
- استكشاف مدى قابلية تطبيق هذا التصور في الواقع المعاصر.

**خطة البحث**

المبحث الأول: سيرة أخوان الصفا

المطلب الأول: التعريف بأخوان الصفا

المطلب الثاني: مؤلفو رسائل أخوان الصفا

المطلب الثالث: زمان ومكان أخوان الصفا

المبحث الثاني: رسائل أخوان الصفا

المطلب الأول: عدد رسائل أخوان الصفا

المطلب الثاني: منهج رسائل أخوان الصفا

المطلب الثالث: الرسائل الجامعة

المبحث الثالث: مفهوم الدولة في رسائل أخوان الصفا

المطلب الأول: مفهوم الدولة

المطلب الثاني: الدولة عند أخوان الصفا

المطلب الثالث: المدينة الفاضلة عند أخوان الصفا

## المبحث الأول

## سيرة أخوان الصفا

**المطلب الأول: التعريف بإخوان الصفا.**

حتى تتضح في الذهن صورة اخوان الصفا، نبحث فيما يلي:

**أولا:** معرفة أعضاء هذه الجماعة.

**ثانيا:** معرفة مؤلفي رسائل اخوان الصفا من بين هؤلاء الأعضاء.

اما بالنسبة للنقطة الأولى، فإننا نجد أنفسنا أمام باب موصد، فالجمعية سرية وطبيعة الجمعيات السرية الكتمان الشديد دائما، لا سيما اذا كان بيننا وبين تلك الجمعية زمن ليس بقريب.

إن كل ما وصلنا إليه في بحثنا عن افراد هذه الجماعة من خلال رسائل اخوان الصفا هو انهم عديدون متنوعون، من مختلف الفئات والطبقات، دون تحديد لأسماء هؤلاء الأشخاص، ولا لأسماء بعضهم على الأقل، فقد ذكروا في الرسالة الثامنة والأربعين أن أصدقاءهم وإخوانهم من فضلاء الناس وكرامهم، ومن طبقات مجتمعية مختلفة، منهم أولاد ملوك وأمراء، ومنهم أولاد وزراء، ومنهم أولاد عمال وكتاب وأولاد أشراف ودهاقين وتجار، ومنهم أولاد علماء وأولاد أدباء، وأولاد فقهاء وحملة دين أيضا، وحتى من أولاد الصناع وأمناء الناس (مطبعة نخبة الاخيار، ١٣٠٥هـ، صفحة ١٥٦).

كما انهم لا يحددون عدد أعضاء جمعيتهم، الا ان المؤرخ الهندي خودابخش ذهب الى تحديد أعضاء جمعية اخوان الصفا أربعين عضوا، ويقول: ويتشابه في ذلك تشابها عجيبا مع الاكاديمية الفرنسية (خودابخش، ١٩٦٠م، صفحة ١٦٦)، ولكنه لا يوضح لنا هل هذا العدد هو كل أعضاء اخوان الصفا، او أعضاء الجمعية التأسيسية او الهيئة العليا للجمعية؟ كما لا يحدد المصدر الذي اعتمد عليه في هذا التحديد.

وأما بالنسبة للنقطة الثانية: فلفظة اخوان الصفا وردت في اللغة العربية قديما، ففي العصر الجاهلي وردت شعراً حيث يقول أوس بن حجر:

**لعمــرك مــا آســى طفيــل بنفســه بنــي عــامر اذ ثابــت الخــيل تــدعي**

**وودع اخـــوان الصـــفا بقـــرزل يمـــر كمـــريخ الوليـــد المفـــزع**

(الخراساني، ب.ت، صفحة ٢٦٨)

ووردت نثرا في قول ابن المقفع في باب الحمامة المطوقة من كتاب (كليلة ودمنة)، (قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف، حدثني عن أخوان الصفا كيف يبدأ تواصلهم؟...) وكذلك جاءت في دعاء للفارابي: (اللهم انقذني من عالم الشقاء والفناء، واجعلني من اخوان الصفا وأصحاب الوفاء، وسكان السماء، مع الصديقين والشهداء) (الفارابي، ١٩١٠م).

وقد يكون من الجائز ان هذه الجماعة اخذت اسم اخوان الصفا من قصة الحمامة المطوقة، واطلقوه على انفسهم _ كما يرى جولدتسيهر _ اذ ان هذه القصة تدور حول ما اذا كانت الحيوانات قد صفت اخواتها وتبادلت المعونة فيما بينها... تستطيع الفكاك من شباك الصياد وغيرها من المخاطر كما ان فيها الايثار، إذ الحمامة تطلب الى الجرذ ان يقطع شباك صديقاتها قبل شبكتها، وتقدم نجاتهن على نجاتها (غلاب، ١٩٦٨م، صفحة ٨).

**المطلب الثاني: مؤلفو رسائل اخوان الصفا**

إن الباحثين المحدثين يرون أنفسهم في حيرة من الامر في محاولتهم معرفة مؤلفي الرسائل، وعبر جمال الدين القفطي (المتوفى ٦٤٦هـ_ ١٢٤٨م) عن تلك الحيرة التي انتابته قبل ان يطلع على كتاب (الامتاع والمؤانسة) لابي حيان التوحيدي فيقول: (... ولما كتم مصنفوها أسماءهم اختلف الناس في الذين وضعوا (الرسائل) فكل قوم قالوا قولاً بطريق الحدس والتخمين، فقوم قالوا هي من كلام بعض الائمة من نسب علي بن ابي طالب – كرم الله وجهه – واختلفوا في اسم الإمام الواضع لها اختلافاً لا يثبت له حقيقة، وقال آخرون: هي تصنيف بعض متكلمي المعتزلة في العصر الأول، ولم ازل شديد

البحث والتطلب لذكر مصنفيها، حتى وقفت على كلام أبي حيان التوحيدي...) ٢٩]، p. ٥٨].

وعلى سبيل الذكر لا الحصر نتطرق لذكر خمسة من المشهورين من جماعة اخوان الصفا، وهم:

**١- أبو الخير (زيد بن رفاعة)**

لقد ابدى التوحيدي اعجابه الشديد به، ووصفه بصفات قلما تتوفر في شخص واحد، واما رجال الحديث وان كانت نظرتهم إليه مختلفة عن نظرة التوحيدي إلا ان معلوماتهم وآراءهم فيه تساعدنا على التعرف اكثر على شخصية ابن رفاعة، يقول الذهبي: ( زيد بن رفاعة الهاشمي أبو الخير، معروف بوضع الحديث على الفلسفة فيه، أخذ عن ابي دريد وابن الانباري، قال الخطيب: كذاب، وقال اللالكائي: رأيته بالري، قلت: له أربعون موضوعة سرقها ابن ودعان)، ويردد العسقلاني في كتابه هذا الرأي كما نقل ما جاء في الامتاع والمؤانسة وورد في تاريخ بغداد ذكر لزيد بن رفاعة وهو في جملته ترديد لما جاء في ميزان الاعتدال (لويس، ب.ت، صفحة ٧٢).

**٢-أبو سليمان المقدسي (محمد بن معشر البستي)**

ذكره أبو حيان هكذا، وكذلك البيهقي والشهرزوري، أما الشهرستاني فوضعه بين الفلاسفة المسلمين من طبقة الكندي والفارابي، الا انه لم يذكر اسمه كما ذكره أبو حيان، بل سماه (أبو سليمان محمد المقدسي) وبعد مراجعة لكتب التراجم لم نجد فيلسوفا غيره بهذا الاسم، لذلك الأرجح انه الذي قصدناه (الشهرستاني، ١٣١٧هـ، صفحة ٩٣) (خليفة، ١٨٣٥م، صفحة ٤٦).

**٣-أبو الحسن الزنجاني (علي بن هارون)**

ورد اختلاف حول اسم والده، ونسبه، ففي بعض نسخ (الامتاع والمؤانسة) المخطوطة جاء بلفظ (الريحاني) وليس الزنجاني، كما يشير إلى ذلك محقق الكتاب وجاء في بعض النسخ كتاب (تتمة صوان الحكمة) الخطية، أبو الحسن علي بن زهرون الريحاني) الا ان الأرجح لدى محققي الكتابين هو كما ورد أعلاه أبو الحسن علي بن هارون الزنجاني. ويرجع التوحيدي الى ابي الحسن في كتابه: الإمتاع والمؤانسة فيقول: (وحدثني أبو الحسن علي بن هارون الزنجاني، القاضي، صاحب المذهب قال: اصطحب رجلان في بعض

الطرق مسافرين...). وهنا نفهم ان الزنجاني كان قاضياً الا انه لم يعثر عليه في كتب التراجم او القضاة لكن قصته مذكورة في رسائل اخوان الصفا (التوحيدي، ١٩٥٣م، صفحة ١٥٧) (مطبعة نخبة الاخيار، ١٣٠٥هـ، صفحة ٣٠٨).

**٤-أبو احمد المهرجاني**

يقول احمد امين محقق كتاب الامتاع والمؤانسة، انه جاء في النسختين اللتين اعتمد عليهما في التحقيق (المهرجوني) وصححه بالمهرجاني، نسبة على (مهرجان) من قرى اسفرايين او مهرجان قدق وهي كورة واما الشهرزوري والبيهقي فيحددان نسبة ابي احمد بالنهرجوري وتبعهما في ذلك حاجي خليفة. وخصص ياقوت الحموي، صفحات من سفره الضخم، الموسوم بمعجم الادباء لترجمة حياة ( ابي احمد النهرجوري) فله كما يقول: تصانيف في العروض (وهو به عارف صادق... وكان قوي الطبقة في الفلسفة وعلوم الأوائل، متوسطا في علوم العربية، وعلمه بها اكثر من شهره) الا انه لم يورد أي إشارة الى علاقة الرجل بإخوان الصفا (الشهرزوري، صفحة ٢١٧) (خليفة، ١٨٣٥م، صفحة ٤٠٦).

**٥-العوقي**

لم يذكر أبو حيان اسمه كاملا، وانما اقتصر على النسبة التي اشتهر بها، و (عوق) على وزن (قفل) اسم قبيلة، وأيضا اسم محلة بالبصرة، كانت تسكنها تلك القبيلة. و(عوق) بفتح أوله وثانيه محلة من محال البصرة ينسب اليها محمد بن سنان العوقي فهنا لا نستطيع التأكد من ان النسبة هنا بضم العين، او فتحها، أي إن صاحبنا هو من تلك القبيلة او هو من احدى هاتين المحلتين (النديم، ب.ت، صفحة ٣٨٤).

**المطلب الثالث: زمان ومكان أخوان الصفا**

**أولا: زمان اخوان الصفا**

نود هنا ان نحدد الفترة التي مارس فيها اخوان الصفا نشاطهم، ووضعوا فيها رسائلهم، وقبل ان نستعرض آراء الكثير من الباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع بالبحث، نود أيضاً أن نشير الى تلك الملاحظة التي ابداها بعض الباحثين من انه يجب التفرقة بين أعضاء الجمعية بصفة عامة ومؤلفي الرسائل بصفة خاصة، فهؤلاء الباحثون رأوا أن الرسائل متأخرة عن تأسيس الجمعية.

وأرجعوا تأسيس الجمعية إلى أيام الإمام جعفر الصادق، وهذا الرأي محل نظر لسببين:

**الأول:** لم تذكر أي مصادر ولا غيرها، مشاركة الامام جعفر الصادق في أي نشاط عملي سري، ولم تذكر كذلك جماعة تحمل اسم اخوان الصفا انتسبت إليه في حياته.

**الثاني:** لم يذكر أبو حيان التوحيدي_ وهو من اقدم المصادر عن اخوان الصفا وقد كان متصلاً ببعضهم _ نسبتهم إلى الإمام جعفر الصادق.

إن رسائل اخوان الصفا بجانب كونها موسوعية، كانت مثابة المنهاج والنظام الداخلي لجمعيتهم، ومن المستبعد ان يتقدم تكوين الجمعية عن وضع الرسائل ما يزيد على قرنين، ولا يكون للجمعية في تلك الفترة أي نشاط سياسي، او ثقافي، ودون ان يكون لها منهاج فكر ودستور عمل. وننتهي من هذا الى ان وضع اخوان الصفا لرسائلهم ان لم يكن في نفس الفترة التي تأسست فيها جمعيتهم، فانه على أي تقدير لم يكن متأخرا عنه كثيرا.

وبناء على ذلك نستطيع ان نقول: ان الجمعية ربما تأسست قبيل النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، ثم بعد ذلك ألّفوا مواضيع الكتاب على شكل رسائل واستغرقوا في ذلك سنوات (العبد، ١٩٧٢م، صفحة ١١).

**ثانيا: مكان أخوان الصفا**

لم أجد في رسائل اخوان الصفا دليلاً على تحديد مقرهم، ومكان تأسيسهم، فكل ما وصل إلينا عن مكانهم هو كلام أبي حيان التوحيدي الذي ذكر أن جماعتهم نشأت في البصرة، فقد جاء في معرض كلامه عن زيد بن رفاعة انه ( اقام بالبصرة زمانا طويلا، وصادف بها جماعة جامعة...) وهذا ليس غريباً، فبحكم موقعها الجغرافي، كانت ملتقى يجمع رجال الشرق من العرب مع الفرس، والهنود، والزرادشتيين، والنصارى، واليهود، والدهريين، والصابئة، فمنذ تأسيس البصرة أيام عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه) باتت ملتقى للثقافات المختلفة، نشأ فيها الحسن البصري، وواصل بن عطاء زعيم المعتزلة، وفيها النظام الذي خلط الدين بالفلسفة، والجاحظ، وفي البصرة قام الاشعري – رحمه الله – يتنصل من الاعتزال، وكان بالبصرة حلقات للعلم من كل فن وصنف، وفي مربدها ينشد الشعراء قصائدهم، وفيه ظهر النحاة والادباء وائمة اللغة مثل خليل بن احمد الفراهيدي،

وسيبويه، حتى باتت مدرسة مشهورة لا يزال اسمها يتردد على السنة الدارسين، وتأثرت دراستها اللغوية والأدبية_ دون المدارس الأخرى_ الاتجاهات الفلسفية وكانت هذه المدينة – نوعا ما – بعيدة عن عيون السلطة، ومتحررة من قيودها؛ بسبب بعدها عن مركز الخلافة ورقابتها (ديبور، ١٩٤٨م، الصفحات ٣٨-٣٩).

## المبحث الثاني

## رسائل اخوان الصفا

### المطلب الأول: عدد رسائل اخوان الصفا

اشتملت رسائل اخوان الصفا على اغلب الفنون الثقافية التي عرفت في عصرهم، فواحدة وخمسين رسالة من رسائلهم كانت في فنون العلم، وغرائب الحكم، وطرائف الآداب، وحقائق المعاني عن كلام الخلصاء الصوفية، وهي تنقسم على أربعة اقسام، رياضية تعليمية، وجسمانية طبيعية، ونفسانية عقلية، وناموسية إلهية (دار صادر، ١٩٥٧م، الصفحات ٢١-٤١) و هذا التبويب جاء مرتبطا بتقسيمهم للفلسفة: الرياضيات، الطبيعيات، الإلهية. وتقسم الرسائل على أربعة اقسام:

**المجموعة الأولى....** : وهي الرسائل الرياضية التعليمية وعددها أربع عشرة رسالة.

**المجموعة الثانية....** : وهي الطبيعيات وعددها سبع عشرة رسالة.

**المجموعة الثالثة....** : وهي المجموعة النفسانية العقلية وعددها عشر رسائل.

**المجموعة الرابعة....**: وهي **الناموسية** الإلهية والشرعية الدينية وعددها احدى عشرة رسالة.

ويذكر أن هناك اختلافا بين عدد الرسائل فعندما نرجع الى الطبقات الهندية والمصرية واللبنانية نجد ان الفهرست يحدد عدد الرسائل باثنتين وخمسين رسالة، وذكر اخوان الصفا في الرسالة الأخيرة: انا ذكرنا في خمسين رسالة تقدمت، وبعد ذلك بصفحة أخرى يقولون: أن هذه الرسالة هي اخر رسائل القسم الرابع وهي الحادية والخمسون.

كما ذكر أبو حيان التوحيدي ان عدد الرسائل خمسون، فمن المعروف انه تميز بالدقة وعلى معرفة ببعض مسؤولي جماعة اخوان الصفا (معصوم، ٢٠٠٢م، الصفحات ٩٠-٩٨).

**المطلب الثاني: منهج رسائل اخوان الصفا**

وصف أبو حيان التوحيدي منهج الرسائل انها مبثوثة من كل فن بلا اشباع ولا كفاية، وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات وقد غرق فيها الصواب فيها لغلبة الخطأ عليها "وهنا يأتي سؤال ملح يفرض نفسه وهو أ الفت الرسائل للمتخصصين أم للمبتدئين ؟ ام هي للخاصة المتعمقين في الفلسفة أم السالكين طريق التخصص فيها ..... أم هي لمن اختاروا طريق التعلم ولا يزالون في المراحل الأولى؟ (التوحيدي، ١٩٥٣م، صفحة ٦).

يجيب الاخوان عن هذا السؤال – في الرسالة الخامسة –: "عملنا هذه الرسائل واوجزنا القول فيها شبه المدخل والمقدمات، لكي يقرب على المتعلمين فهمها، ويسهل على المبتدئين النظر فيها" (مطبعة نخبة الاخيار، ١٣٠٥هـ، الصفحات ٢–٢٠).

وإذا قارنا بين كتابة الاخوان في الموضوعات الفلسفية وبين ما كتبه الفارابي او ابن سينا نجد أن هناك فرقا شاسعا بين العرضين، عرض اخوان الصفا، وعرض الفارابي وابن سينا، فالأول – عرض إخوان الصفا – خفيف سلس، يعتمد على التشبيهات المادية، والامثلة الملموسة في ربط الموضوعات؛ حتى يسهل فهمه على القارئ، اما الثاني – عرض الفارابي وابن سينا – فيعتمد على المصطلحات، والإيجاز، ويخاطب متخصصي الفلسفة.

إن مادة الرسائل خلاصات وتطبيقات وليست نظرات عميقة في العلم والفلسفة، فقد كتب اكثرها للذين يريدون تفهم مذهب هذه الجماعة بطريقة سهلة، وهي أشبه بموسوعة تبسط فيها المسائل الفلسفية الأولية بأسلوب يوافق عقلية العامة وحتى لا ينفروا من الفلسفة (الفاخوري و البحر، ١٩٥٧م، صفحة ٢٣٨).

وبذلك نتوصل إلى ان الرسائل لعامة المثقفين وهي مقدمة لأيسر النفوس وأدنى العقول (الدسوقي، ١٩٤٧م، صفحة ١٢٧).

**ثانيا: لغة الرسائل:** يرى أوليري في لغة الرسائل لغة معقدة غامضة، ولعلها عميت عمدا قصدا بقصد حجب التعاليم الروحية عن ذي الأرواح المعتمة (اوليري، ١٩٦٢م، صفحة ٢٤٦).

ومن الناحية الأدبية فإن لرسائل اخوان الصفا قيمة فنية خالصة، فهي تتجه الى جمهور الناس، وللتعليم والتثقيف أيضاً، فهي بعيدة عن العسر الفلسفي قريبة الى اليسر

الادبي، واعتنى كتابها بألفاظها وسياقاتها عناية أدبية، فيها الخيال الكثير وفيها الشيء المتقن، وفيها الفاظ متخيرة ومعان ميسرة.

وجملة القول: إن هذه الرسائل مهمة ولكن لم تعرف قيمتها على النحو الذي يليق بها، ويقول فيليب حتي: ان لغة الرسائل تدل على ان اللغة العربية في ذلك الوقت قد أصبحت أداة صالحة للتعبير عن الأفكار العلمية من مختلف نواحيها (نافع، ١٩٥٣م، صفحة ٤٧٢).

وربما يكون الدافع الى وصف الرسائل بالركاكة وغموض التعبير من قبل اوليري وغيره هو أسلوب الاخوان الرمزي فالرسائل مليئة بالقصص والحكايات ومنها الكثير على السنة الحيوانات.

**المطلب الثالث: الرسائل الجامعة**

أشار اخوان الصفا في مواطن مختلفة من رسائلهم الى وجود رسالة أخرى غير تلك الرسائل اسمها "الرسائل الجامعة" ووصفوها بالجامعة؛ لما فيها من إيضاح، ومعانيها ملخصة مستوفاة مهذبة.

إن منهج اخوان الصفا في الرسالة الجامعة مختلف عن منهجهم في الرسائل، فالرسالة الجامعة الفت لمن قرؤا الرسائل، أو تثقفوا بكتب تشبهها، أي امتلكوا رصيدا من معارف عصرهم، وارتفعوا الى مرتبة اعلى من مرتبة الرسائل.

ويذكر أن هناك من بذلوا الجهد في بث بعض أفكارهم في ثنايا الرسائل، فان أفكارهم هناك بادية الاقحام ظاهرة الغربة وربما يرجع ذلك الى حجم الرسائل، فهم لم يتمكنوا من ان يقوموا بالتعديلات المطلوبة بحيث تنسجم تللك الأفكار مع باقي الرسائل، الا ان في الرسائل الجامعة سواء أ كان المؤلف اخوان الصفا ام غيرهم أمثال المجريطي الذي نسبت اليه، ولكن عند انعام النظر وعقد المقارنات بين ما ورد في الرسالة الجامعة بما في الرسائل يتبين لنا ان الجامعة تحتوي على الكثير من التعديل والتبديل لذلك كله لم نعتمد عليه في تلمس اراء اخوان الصفا الا في حدود ضيقة (دار صادر، ١٩٥٧م، الصفحات ٤٢-٤٣).

لذلك فان الرسائل الجامعة ترتكز على البراهين والأدلة العقلية في تناولها للقضايا المطروحة.

## المبحث الثالث

## مفهوم الدولة في رسائل اخوان الصفا

### المطلب الأول: مفهوم الدولة

**أولا- الدولة لغةً:**

الدَوْلَةُ في الحرب: أن تُدالَ إحدى الفئتين على الأخرى. يقال: كانت لنا عليهم الدَوْلَةُ. والجمع الدُوَلُ. والدُولَةُ بالضم، في المال ويقال: صار الفئ دولة بينهم يَتَداوَلونَهُ، يكون مرّةً لهذا ومرَّةً لهذا، والجمع دُولاتٌ ودُوَلٌ. وقال أبو عبيد: الدولَةُ بالضم: اسم الشئ الذى يتداول به بعينه. والدَوْلَةُ بالفتح: الفعل. وقال بعضهم: الدُولَةُ والدَوْلَةُ لغتان بمعنىً. وقال محمد بن سلام الجمحى: سألت يونس عن قول الله تعالى: {كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم} فقال: قال أبو عمرو بن العلاء: الدولة بالضم في المال، والدولة بالفتح في الحرب (الفارابي ا.، ١٩٨٧م، صفحة ١٧٠٠).

والدولة: الانتقال من حال البؤس والضرر إلى حال الغبطة والسرور، ويقال: أدال الله عز وجل فلانًا من فلان أي جعل له الدولة عليه والدال الظافر (الهروي، ١٩٩٩م، صفحة ٦٥٧).

فالدولة لغة تعني الانتقال من حال الى حال، والتبادل، والغلبة، والتحول.

**ثانياً: الدولة اصطلاحاً:**

لم يتطرق الفقهاء القدامى الى مصطلح الدولة، بل استخدموا ألفاظ مشابهة مثل: الإمامة والخلافة.

وعرفها الدكتور وهبة الزحيلي بقوله: مجموع كبير من الناس، يقطن بصفة دائمة في إقليم جغرافي معين، ويخضع لسلطة عليا أو تنظيم سياسي معين (الزحيلي، صفحة ٦٣١٩).

أما الدكتور سمير عالية فعرفها بقوله: مؤسسة تتكون من مجموعة من أفراد الشعب، يقيمون على إقليم جغرافي معين، ويخضعون لسلطة سياسية حاكمة لها السيادة على الإقليم وعلى افراد هذه المجموعة (عالية، ١٩٨٨م، صفحة ٣١).

**المطلب الثاني: الدولة عند أخوان الصفا**

أكد الإخوان على ضرورة الدولة؛ لأن الإنسان بمفرده غير قادر على العيش بهذه الحال إلا عيشًا نكدًا، فهو محتاج إلى الآخرين من ذوي الصنائع المختلفة ولو أراد تعلمها كلها لا يستطيع بالتأكيد بسبب كثرة الصنائع من جانب، ولقصر العمر من جانب آخر، إذ يحتاج تعلمها إلى سنوات كثيرة جدًا. وعندها لجأ إلى حياة اجتماعية في القرى والمدن لمعاونة بعضهم بعضًا. والمهن موهبة إلهية منحها الله لبعض الناس فاقتضت حكمته تعالى أن يعمل بعضهم بالبناء وبعضهم بالتجارة وآخرين بالصناعة، وبعضهم بالسياسة، ومنهم من يعمل بأحكام العلوم وتعليمها.

فأصبحوا مثل الأخوة من أب واحد، في منزل واحد. وعند اجتماعهم اتفقوا على اصطلاح الوزن والكيل والثمن والأجرة فكان ذلك عامل مشجع لهم على الاجتهاد في الأعمال والصنائع إذ يستحق الإنسان من الأجرة بحسب نشاطه واجتهاده في العمل.

وهذه الأمور تتعلق بوظائف الدولة الداخلية، وهم أكدوا على قضية التخصص بالعمل وضرورة الإبداع فيه، وهذه حميدة لا تُنكر بل نجد الدول الناجحة علميًا وعمليًا تؤكد على هذا الموضوع.

ومثلما يحتاج الإنسان إلى الدولة في سد حاجاته فانه يحتاجها أيضًا في قضية نجاة نفسه وهنا أضفوا على الدولة صبغة دينية، فالإنسان محتاج إلى النجاة من عالم الكون والفساد ومن عذاب جهنم وجنود الشياطين وجنود إبليس، والصعود إلى عالم الأفلاك وسعة السماوات ومسكن عليين وجوار الملائكة المقربين من الله تعالى، وهذا لا يتحقق للإنسان بمفرده ، بل بمعاونة إخوان ناصحين له، وأصدقاء فضلاء متبصرين بأمر الدين علماء بحقائق الأمور ليعرفوه طريق الآخرة وكيفية النجاة من هذه الورطة (مطبعة نخبة الاخيار، ١٣٠٥هـ، صفحة ١٠٠)؛ لذا فهو بحاجة إلى ملازمة الشريعة ومعاونة أهل مدينته لينجو بشفاعتهم من جهنم، فالدين يحث على الحياة الاجتماعية، وعلى ضرورة وجود رئيس يجمع شملهم ويراعي أمورهم ويمنع الفساد ويدعو للصلاح بشرط أن يكون معتمدًا على شريعة يبني عليها أمره (مطبعة نخبة الاخيار، ١٣٠٥هـ، صفحة ١٢٤).

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن أ الإخوان أرادوا أن يؤكدوا على حاجة الإنسان إلى الدولة والحياة الجماعية؛ لإنه مدني بالطبع تلك الفكرة التي طرحها قبلهم أفلاطون (مطبعة

نخبة الاخيار، ١٣٠٥هـ، صفحة ١٣٩) وأرسطو؟ أم انهم يرون خلاف ذلك، أي ان الإنسان ليس مدنيًا بل أنانيا بطبعه، فإذا ترك وشأنه يفعل ما يحلو له من رغباته الطبيعية الخاصة تلك المسألة التي أعلنها مثلا انتيفون وغلوكون السفسطائيان، وتوماس هوبز وغيرهم (كرم، ١٩٦٢م، الصفحات ٥٥-٥٧).

الجواب: إن الإخوان يرون في الحقيقة أن الإنسان أناني بطبعه ومصداق هذه الإجابة نجده عند تتبع آرائهم الآتية: إن طاعة البشر لرؤسائهم لم تكن برغبة منهم للانقياد إلى الأوامر، بل طباعهم وجبلتهم بالضد من ذلك؛ لذا كانت أكثر طاعتهم للملوك خداعاً ومكراً ونفاقاً وغروراً، بل طلبًا للعوض، ناهيك عن الخروج من الجماعة والعداوة والحرب والقتال والفساد في الأرض وهذه حالهم حتى مع الأنبياء والرسل، فهم تارة ينكرون دعوتهم بالجحود، ويطالبونهم بالمعجزات، فضلاً عن نفاقهم ومكرهم وخيانتهم بالسر والعلانية، وذلك بسبب غلظ طباع هؤلاء وتراكم جهالاتهم وسيئات أعمالهم ورداءة جبلتهم وسوء عاداتهم وعمى قلوبهم، بل وصلت الحال عند بعضهم ادعاء الربوبية وغيرهم عبيد لهم (مطبعة نخبة الاخيار، ١٣٠٥هـ، صفحة ٣٠٨).

**المطلب الثالث: المدينة الفاضلة في نظر اخوان الصفا**

انطلقت جمعية الإخوان بتأكيد مكانة الصداقة القائمة وأهميتها على أساس التعاون على أمور الدين والدنيا، والمحبة والرحمة والشفقة والمساواة، إذ تصبح أنفس الأصدقاء واحدة وان كانت أجسادهم متفرقة، صداقة قائمة على العقل، ترفض سوء الأعمال وفساد الآراء ورداءة الأخلاق وتراكم الجهالات ومعرفة علل هذه الأمور لغرض التخلص منها (مطبعة نخبة الاخيار، ١٣٠٥هـ، الصفحات ١٧٠-١٧١) وقضية تأكيد العقل ومكانته في اختيار الصداقة وقيامها أمر أكده قبلهم أفلاطون (Plato & Lysis or Friend ship, ١٩٥٢, pp. ١٨-٢٤)وتلميذه أرسطو طاليس (Aristotle, ١٩٥٢, p. ٤٠٨).

وأهل هذه المدينة أخيار حكماء فضلاء لديهم معرفة بأمور النفوس وحالاتها وما يتبع ذلك من أمور الأجساد وحالاتها.

ولهذه المدينة سيرة حسنة جميلة يتعاملون بها فيما بينهم، ولهم سيرة أخرى يتعاملون بها مع أهل المدن الجائرة.

ومدينة الإخوان هذه جمعوا فيها الجانب اليوتوبي (المثالي) بالواقعي.

تتضح اليوتوبيا بعدة أمور أكدوها، جاء فيها ان بناء مدينتهم يجب ألا يكون على الأرض حيث تكون أخلاق سائر المدن الجائرة، ولا تبنى على وجه الماء لكي لا يصيبها من الأمواج والاضطراب الذي يصيب أهل المدن على السواحل من البحار، ولا يكون بناؤها في الهواء مرتفعًا حتى لا يصعد إليها دخان المدن الجائرة فيتكدر هواؤها (طاهر، ٢٠٠٢، الصفحات ١٠٨-١١٥).

وبعد هذه الشروط أضافوا أن هذه المدينة يجب أن تكون مشرفة على سائر أهل المدن ليشاهد أهلها حالات أهل المدن الأخرى وفي دائم الأوقات. وان يكون أساسها قائم على تقوى الله كي لا ينهار بناؤها، وأن تُشيد على الصدق في الأقوال والتصديق في الضمائر، وتتم أركانها على الوفاء والأمانة كي تدوم ويكون كمالها على الغاية القصوى وهي الخلود في النعيم. وبعد الانتهاء من بناء هذه المدينة سيبنون مركبًا عبروا عنه بسفينة النجاة، المستقلة بثقل الأجساد إذ ان المدينة مأوى الأرواح (مطبعة نخبة الاخيار، ١٣٠٥هـ، الصفحات ١٧١-١٧٢)؛ لذا فمن أراد إصلاح نفسه ونجاتها من المادة وعلائقها بوصفها مانع يحول دون الترقي إلى ملكوت السماوات والدخول في زمرة الملائكة والسياحة في فسحة عالم الأفلاك والارتفاع إلى درجات الجنان والتنسم من ذلك الروح والريحان ومن رغب بذلك عليه بصحبتهم والانضمام لجمعيتهم بوصفهم إخوان نصحاء فضلاء كرماء يعينون من صاحبهم على الصلاح والنجاة وهم خلعوا عن أنفسهم خدمة أبناء الدنيا وجعلوا كل جهدهم طلب نعيم الآخرة، ومن أراد نيل هذه الأمور يجب عليه أن يسلك مسلكهم والتخلق بأخلاقهم ومعرفة علومهم وأسرارها فضلا عن اعتقادهم. وأكدوا على مكانتهم قائلين: ((... إذا دخلت مدينتنا الروحانية، وسرت بسيرتنا الملكية، وعملت بسنتنا الزكية، وتفهمت في شريعتنا العقلية، فلعلك تؤيد بروح الحياة، لتنظر الملأ الأعلى، وتعيش عيش السعداء، مخلدًا مسرورًا أبدًا بنفسك الباقية الشريفة الفاضلة، لا بجسدك المظلم الثقيل المستحيل الفاسد الفاني...)) (مطبعة نخبة الاخيار، ١٣٠٥هـ، صفحة ٢٣).

هذا فيما يتعلق بالجانب اليوتوبي الذي بموجبه منحوا مدينتهم بعدًا دينيًا وهم بالغوا بلا شك في إعلاء شأن مدينتهم ويبدو انهم انتبهوا لهذا الأمر؛ لذا حاولوا العودة لعالم الواقع حيث بينوا ان عبادة الله ليس كلها صوما وصلاة، بل عمارة الدين والدنيا معًا، إذ أرادهما الباري عامرتين، فمن سعى في إصلاح أحدهما أو كليهما فأجره على الله مالكهما جميعًا،

وأبغض عباده من سعى في فسادهما أو فساد احدهما (مطبعة نخبة الاخيار، ١٣٠٥هـ، صفحة ١٢٥).

## الخاتمة

إن مفهوم الدولة عند إخوان الصفا لا يخلو من الغموض والتنوع، وكلا الأمرين اعتمده الإخوان على ما يبدو ، إذ طرحوا آراءهم ووزعوها على مختلف رسائلهم فتارة يصرحون بها وخير مثال على ذلك استعمالهم مصطلح السياسة، كالسياسة النبوية والملوكية والعامية والخاصة والتي تشمل السياسة النفسانية والسياسة الجسمانية، وهم يعلنون أهمية السياسة من الناحية الدينية فكانت النبوية أعلى السياسات ثم الخلافة أو الإمامة، ويؤكدون أهمية الدولة وحاجة الإنسان لها والى أهمية الرئيس وضرورة طاعته والامتثال لأوامره؛ وتطرقوا أيضًا إلى مشروع قيام مدينة فاضلة تخصهم حملت بين جنباتها أفكارًا يوتوبية ليقدموا أنفسهم الى الناس أن لا هدف سياسي عندهم ، وانهم من أهل السلامة.

بل نجدهم حاولوا جمع أكبر عدد من المعجبين بهم إذ قاموا بمغازلة عواطف الناس من مختلف الأديان والمذاهب والقوميات وكأنهم يدعون إلى حوار الأديان ففهمت هكذا محاولات من قبل بعض الباحثين ان الإخوان من دعاة التسامح وأصحاب معرفة موسوعية هدفهم الرئيس تقديم العلوم والمعارف بطريقة مجانية دون أن يبتغوا من وراء ذلك عوض.

**النتائج**

- تبيّن أن مفهوم الدولة عند إخوان الصفا يقوم على أساس أخلاقي–فلسفي، حيث ترتبط شرعية الدولة بمدى تحقيقها للفضيلة والعدل.
- اتضح أن إخوان الصفا يمزجون بين البعد العقلي والروحي في بناء الدولة، فلا يقتصر تصورهم على الجانب السياسي فقط بل يتعداه إلى تهذيب النفس والمجتمع.
- كشفت الدراسة أن الدولة عندهم ذات طابع هرمي تنظيمي، يشبه بناء الجماعة الفاضلة التي يقودها أهل الحكمة والمعرفة.

- ظهر أن فكرهم يحمل نزعة إصلاحية تسعى إلى تغيير الواقع السياسي من خلال التربية والتعليم قبل التغيير السلطوي.

**التوصيات**

- ضرورة إعادة قراءة تراث إخوان الصفا في ضوء التحديات المعاصرة، خاصة فيما يتعلق ببناء الدولة الأخلاقية.
- الدعوة إلى الإفادة من رؤيتهم التربوية في إصلاح الفرد كمدخل لإصلاح المجتمع والدولة.
- تشجيع الدراسات المقارنة بين تصور إخوان الصفا ومفاهيم الدولة الحديثة (المدنية والدينية).
- الاهتمام بتحليل البعد الفلسفي في التراث الإسلامي لإغناء النقاشات السياسية المعاصرة.

## فهرس المصادر


١. *Aristotle. (١٩٥٢). The Works of Aristotle, Great Books of the Western World (Vol. ٩). (B. Jowett, Trans.) William Benton Publisher, Encyclopedia Britannica.*

٢. *Plato, & Lysis or Friend ship. (١٩٥٢). Great Books of the Western World (Vol. ٧). William Benton; Encyclopaedia Britannica.*

٣. *ابن النديم. (ب.ت). الفهرست (الإصدار ب.ط). القاهرة: المكتبة التجارية.*

٤. *ابو حيان التوحيدي. (١٩٥٣م). الامتاع والمؤنسة. القاهرة.*

٥. *ابو عبيد احمد بن محمد الهروي. (١٩٩٩م). الغريبين في القرآن والحديث (الإصدار ط١، المجلد ج٢). المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز.*

٦. *ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي. (١٩٨٧م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (الإصدار ط٤، المجلد ج٤). بيروت: دار العلم للملايين.*

٧. *الامام القفطي. (١٣٢٦هـ). اخبار العلماء بإخبار الحكماء. القاهرة: مكبعة السعادة.*

٨. الشهرزوري. (بلا تاريخ). نزهة الارواح. دار الكتب المصرية.
٩. الشهرستاني. (١٣١٧هـ). الملل والنحل (الإصدار ط٢، المجلد ج٣). القاهرة: المطبعة الاوربية.
١٠. الفارابي. (١٩١٠م). مبادئ الفلسفة القديمة. القاهرة: المكتبة السلفية.
١١. اوليري. (١٩٦٢م). علوم اليونان سبل انتقالها الى العرب. (وهيب كامل، المترجمون) النهضة المصرية.
١٢. برنارد لويس. (ب.ت). اصول الاسماعيلية. القاهرة: دار الكتب العربي.
١٣. حاجي خليفة. (١٨٣٥م). كشف الظنون (المجلد ج٣). مطبعة لبيزك.
١٤. حنا الفاخوري، و خليل البحر. (١٩٥٧م). تاريخ الفلسفة العربية (المجلد ج١). بيروت: دار المعارف.
١٥. خودابخش. (١٩٦٠م). الحضارة الاسلامية. القاهرة: دار الكتب الحديثة.
١٦. دار صادر١٩٥٧) .م .(فهرست الرسائل .Vol)ج١ .(بيروت: دار صادر.
١٧. ديبور. (١٩٤٨م). تاريخ الفلسفة في الإسلام. القاهرة: لجنة التأليف والنشر.
١٨. سمير عالية. (١٩٨٨م). نظرية الدولة وآدابها في الاسلام (الإصدار ط١). بيروت – لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
١٩. عبد اللطيف العبد. (١٩٧٢م). الانسان عن اخوان الصفا. القاهرة: مكتبة دار العلوم، جامعة القاهرة.
٢٠. علي هادي طاهر. (٢٠٠٢). صداقة اخوان الصفا. جامعة بغداد. بغداد.
٢١. عمر الدسوقي. (١٩٤٧م). اخوان الصفا. القاهرة: دار احياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
٢٢. غفران الخراساني. (ب.ت). جماعة اخوان الصفا واثرهم في تطوير القصة على لسان الحيوان. مطبعة ليدن.
٢٣. فؤاد معصوم. (٢٠٠٢م). اخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم. سوريا: دار المدى.
٢٤. محمد غلاب. (١٩٦٨م). اخوان الصفا. وزارة الثقافة والمكتبة الثقافية.

٢٥ . محمد مبروك نافع. (١٩٥٣م). تاريخ العرب (المجلد ج٢). القاهرة: دار العالم العربي.

٢٦ . مطبعة نخبة الاخيار. (١٣٠٥هـ). رسائل اخوان الصفا (المجلد ج٤). الهند: المكتبة التجارية الكبرى.

٢٧ . وهبة الزحيلي. (بلا تاريخ). الفقه الإسلامي وأدلته (الإصدار ط٤، المجلد ج٨). دمشق – سوريا: دار الفكر العربي.

٢٨ . يوسف كرم. (١٩٦٢م). تاريخ الفلسفة الحديثة. مصر: دار المعارف.